ولاية الفقيه: بدعة وطغيان واستبداد

تعد نظرية ولاية الفقيه بدعة في الفقه الشيعي، لم يؤمن بها منذ ألف عام غير خميني المنظر لها في أبحاث قدمها في النجف، عندما لجأ إليها مدة أربعة عشر عامًا. وقد طبعت لاحقًا في كتيب صغير بعنوان (الحكومة الإسلامية)[1]، حيث رفضه جملة الفقهاء والمراجع المعروفون. وقد أهملها علماء النجف، لأنها لم تكن ذات قيمة علمية.

وقد اعتمد الخميني على أدلة، أهمها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، بتأويل أولي الأمر بالفقهاء، وهو رأي نادر وشاذ وغريب في المذهب الشيعي. لأن المذهب كان يحصر أولي الأمر بالأئمة خصوصًا الإمام علي بن أبي طالب، الذين يروون نزول الآية في حقه، دون الفقهاء بوصفهم بشرًا قابلين للخطأ والهوى، فيستحيل قرنهم بولاية الله ورسوله، فهو مرفوض جملة وتفصيلًا في إجماعهم.

كما اعتمد على رواية عمر بن حنظلة، وهي ضعيفة جدًّا سندًا ودلالة. وأما السند، فإنّ فيه أشخاصًا لم يتم توثيقهم، مثل: عمر بن حنظلة، إسحاق ابن يعقوب المجهول، ويزيد بن خليفة، وهو واقفي لا

(١) الحكومة الإسلامية، خميني.

يؤمن بالأئمة بعد موسى الكاظم، وقد أسس تلك الفرقة وكلاء الإمام موسى الكاظم نفسه: كزياد القندي وعثمان بن عيسى الرواسي، اللذين رفضا تسليم الأموال والجواري إلى ابنه الإمام علي الرضا. رافضين إمامته واقفين على الإمام الكاظم، بوصفه آخر إمام، حتى اعتبر بعضهم أنه المهدي الغائب، الذي سيرجع لاحقًا، كما يذكر الطوسي والكشي والنوبختي والمامقاني والمفيد والمرتضى والخوئي، وهم فقهاء الشيعة.

أما متنها فهي تتحدث عن حالة خاصة في رجلين تنازعا في ميراث، رفض الفقهاء تعميمها وتطبيقها على الولاية المنظورة، كما أنها ترجع إلى (قد روى حديثنا)، وليس إلى الفقهاء المجتهدين، أي النظرية الإخبارية، التي كانت سائدة في الفكر الشيعي سابقًا بعد عصر الغيبة لأحقاب طويلة، وهي تحرم الاجتهاد، بروايات اللعن من الأئمة على من يجتهد، ويستعمل عقله في القياس وغيره، وكذلك تحرم التقليد (من قلد في دينه هلك) قبل التأثر بالمذاهب السنية، ومدارس الاجتهاد، فإن أول مذهب للاجتهاد هو مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم نشوء الأصوليين في المذهب الشيعي لاحقًا، وجواز الاجتهاد والتقليد، وتوسعه شيئًا فشيئًا، وعوامل تطوره، كما ذكره محمد باقر الصدر، ومحمد جواد مغنية، ومحمد مهدي شمس الدين، وهاشم معروف الحسيني، والجواهري، وكاشف الغطاء، وغيرهم كثير.

قلما نجد فقيهًا نظّر لولاية الفقيه قبل خميني، الذي لم يحصل على إجازة اجتهاد سوى واحدة سياسية، قال فقيهها كاظم شريعتمداري: إنه أراد منع إعدام خميني لوجود قانون في إيران بمنع إعدام الفقيه المجتهد،

فهي فتوى سياسية لا تملك حيثية علمية، علمًا أن بعض المراجع أفتى بكفر الخميني لآرائه الشاذة وبدعه المتعددة، وانتقدوا رسالته العملية (تحرير الوسيلة)، المأخوذ أكثرها نصًّا وقلبًا من (وسيلة النجاة) لأبي الحسن الأصفهاني، خصوصًا المرجع محمد الروحاني، وهو أستاذ محمد باقر الصدر في الأصول، والمعارض صريح لولاية الفقيه، والناقد اللاذع للخميني وأفكاره.

وأهم المنظرين لولاية الفقيه أحمد النائيني في كتابه (عوائد الأيام)، وقد رد عليه الكثيرون، وهو مخالف لإجماع الشيعة منذ أكثر من ألف عام، لذلك نجد مرتضى الأنصاري في كتابه (المكاسب) رادًّا مستهزئًا (دونه خرط القتاد) تعبيرًا عن شدة وهن وضعف.

وهو ما أثبتته التجارب والواقع واختلاف الفقهاء، يكشف صراعهم على الزعامة والدنيا، كما يظهر الصراع للحصول على أكبر عدد من التجار والأخماس والحقوق الشرعية من أرحام المرجعيات وممثليهم ووكلائهم.

ومن هنا تكون نظرية ولاية الفقيه حينئذ مناقضة لنظرية الإمامة وانتظار المهدي الإمام الثاني عشر، الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وكل دولة شيعية قبل ظهوره هي ظالمة وصاحبها طاغوت، لذلك توجد عشرات الروايات التي تتحدث عن هؤلاء بأنهم يفسدون أكثر مما يصلحون، لأنهم غير معصومين وليسوا أئمة عادلين، ودائمًا في الروايات الإمام العادل يعني المعصوم دون غيره من البشر، وهو ما فهمه الإخباريون الأوائل.

عندما قامت الثورة الإيرانية بمبادئ أساسها اقتصادية وعدالة اجتماعية، اشتركت فيها مختلف طبقات الشعب وأحزابه، لكن القيادة المستفيدة من جميعهم ألغت الآخرين وتنكرت للكثيرين، حتى رفعت شعارات: (الموت لأعداء ولاية الفقيه)، وأصبح كل من يطرح رأيًا مختلفًا بأنه من أعداء ولاية الفقيه، حتى من الفقهاء الآخرين مثل شريعتمداري وقمي وروحاني وشيرازي والخاقاني والمامقاني والكرمي وغيرهم، الذين وضعوا تحت الإقامة الجبرية حتى وفاتهم، ومنع تشييعهم والصلاة عليهم، ودفنوا سرًّا بشكل مهين وإرهابي وفي أماكن غير مناسبة، لطمس آثارهم.

وما رفع خميني من شعارات ومبادئ أوائل الثورة، كحرمة الضرائب ومجانية الخدمات والكهرباء والماء كانت غير صادقة، حيث تضاعفت قيمتها والضرائب، ولما صعد إلى السلطة رجال دين مثل رفسنجاني وكروبي وخامنئي، تحولوا إلى طغاة جبابرة يزيدون الضرائب، ويستحوذون على المليارات من الدولارات والعقارات والقصور والاستثمارات، وتحول الشعب بين فقير جائع محروم لا يمتلك لقمة العيش، ولو عمل ثلاثة أعمال برغم شهادته الجامعية، وبين لاجئ هارب من بطش النظام وقمعه باحثًا عن حرية وكرامة وإنسانية، حتى هاجرت الملايين.

وأكثر أفراد يعلنون ارتدادهم عن الدين الإسلامي في العالم كله هم الإيرانيون، بسبب القمع والإرهاب من حكومة ولاية الفقيه الطاغوتية، التي تدعي الإسلام والإسلام بريء منها. وأن خامنئي الذي

لا يملك إجازة اجتهادية، وسماه خميني (بثقة الإسلام) دليل على أنه في مقدمات الحوزة العلمية، ولم تنفعه دروس محمود الشاهرودي الضعيفة يوم الثلاثاء لتقويته فقهيًّا، أمر الحرس الثوري وقوات التعبئة بقتل أي متظاهر مسالم يطالب بحقوقه ومعاملته بوصفه محاربًا لله ورسوله، وبدأ أزلام النظام يتصارعون على السلطة وحبًّا بالدنيا، وكان منظر خليفة خميني منظرًا لولاية الفقيه، ثم تراجع فكريًّا وعمليًّا عنها متحدثًا عن دكتاتوريتها والسجون والقمع والتعذيب والإرهاب لكل مخالف فكريًّا، ومنهم مهدي كروبي سابقًا رئيس مجلس الشورى سابقًا ومؤسسة الشهيد وبعثة الحج، ومير حسين موسوي رئيس الوزراء السابق، ومحمد خاتمي وزير ثقافة الحرب العراقية الإيرانية، ورئيس الجمهورية الذين اعتبروا أعداء للنظام وعملاء للغرب، ويجب محاكمتهم في صراع السلطة وكل من يخالف ولي الفقيه.

إن الإشكال الأساس في ولاية الفقيه هو كون السلطة بيد الفقيه، ثم اجتماع السلطات كلها عنده وإعطاؤه ولاية مطلقة وصلاحيات كبرى، فهو يعين مسؤولي الدولة حتى رئيس القضاء الموالي له، كما يعين رئيس الإذاعة والتلفزيون والجيش والحرس الثوري ورؤساء الهيئات، حتى رئيس الجمهورية يعيّن بصلاحيات بسيطة بعد موافقته على ترشيحه وغيرها. كما أنه يعارض الدولة المدنية الحديثة بكل تطلعاتها وآفاقها وامتياز التخصصات وفصل السلطات وحقوق الأفراد ومحاسبة الفساد.

عندما يسافر خامنئي إلى موطنه مشهد، فإن أرحامه الأتراك يرفضون ملاقاته، لأنهم يعرفون تاريخه وسيرته، وعندما يزور قم يرفضه

المراجع، حتى إن وحيد الخراساني يخرج من قم، ويأتي الحرس الثوري لتطلب من المراجع زيارته فيرفض الكثيرون، فيقال لهم: (ارحلوا عن قم كما رحل وحيد)، فيجيبه بعضهم: (لسنا مجرمين ولا غرباء لنهرب من البلاد).

والمعروف أن هنالك وسائل كثيرة يستعملها الحرس الثوري لترهيب الرافضين وقمعهم للقائه، حتى قال بعض الفقهاء المعارضين لخامنئي: (نحن نعيش تقية لمواجهة طاغية لم يعرف التاريخ مثيلًا له). ومن احتقار خامنئي للشعب أنه يزور مدنًا، حيث تستقبله طوابير مهيأة ويجلس في مكان مرتفع ويمدّ يده، لتأتي الجموع مقبلة يده كعبيد دون السماح لأحد بالكلام، وهو يظهر للشعب، وكأنّ له جمهورًا واسعًا مطيعًا، مستخفًّا بعقول الجماهير. فالقيادة في واد بعقلية متحجرة قديمة، والشعب في واد مختلف آخر، لكنه مغلوب على أمره ... مستضعف ومظلوم ومقهور.

ومن مشكلات ولاية الفقيه أيضًا هي تصدير الثورة الإيرانية، وشراء عملاء لها في الخارج وتأثيرها السلبي في العراق الجريح والمنكوب بسبب الاحتلالين الأمريكي والإيراني، واحتلال الجزر الثلاث وادعاؤها تبعية البحرين لها، وقامت في العديد من دول العالم بأدوار مكشوفة وغير مكشوفة.

لكن إيران بدأت تشهد مظاهرات كبيرة للشباب خصوصًا الجامعيين، برغم القمع والقتل والإرهاب، وقد كانت القوى الأمنية تهجم عليهم في تظاهرات الجامعات بالأسلحة والدراجات لتتدفق

الدماء بشكل وحشي مروع، كما شهدت بين قيادتها صراعًا مكشوفًا على السلطة حتى وصل إلى صراع رفسنجاني وخامنئي، وهما المتحالفان في إسقاط الآخرين مثل ولاية منتظري والقضاة كصانعي وأردبيلي وأئمة جمعة كمؤمن، ومحاولات اغتيالهم في طريق قم وطهران، وطرح صلاحية ولي الفقيه ورفضها علنًا من أشخاص كانوا صقورًا مدافعين عنها، لقد ثبت دجل ولاية الفقيه وطغيانها وظلمها فضلًا عن عنصريتها، فهي تتعامل مع العرب مثلا بالإهانة والعنصرية والتهميش في مناطقهم وخدماتهم، بل وإهانتهم في الصحافة الرسمية وخطب الجمعة بألفاظ بذيئة نابية، وهي تمنع ملايين المسلمين السنة حتى من بناء جامع واحد في جميع أنحاء طهران، فضلًا عن إهانة الخلفاء وسبهم ولعنهم والاحتفال بمناسبات موتهم في (التشيع الفارسي).

وقد أجرى مراسل «سي إن إن» القناة الإخبارية الأمريكية أخيرًا تحقيقًا أظهرت نتائجه أن أكثر شعوب العالم تحب أمريكا وتكره نظامه القمعي هي الشعوب الإيرانية خاصة الشباب الجامعي، وهو يخرج في التظاهرات رافضًا الانتخابات المزورة، هاتفًا بسقوط الخامنئي: بوصفه دكتاتورًا طاغوتًا قاتلًا ومرتزقًا.

والملاحظ العجيب برغم تحية خامنئي لثورة مصر بخطبة الجمعة العربية في توهم تصويرها إسلامية على الخطى الإيرانية، فإنه منع شعبه من تسيير تظاهرات لتأييدها، عارفًا بأنها تطالب أولًا بسقوطه وموته ومحاسبته عن كل جرائمه، وهذه حقيقة حركة التاريخ في سقوط الطواغيت، والشعوب الإيرانية تتابع سقوط ابن علي ومبارك، وتهافت

مقومات الثورة الإيرانية خصوصًا أن ٨٥ ٪ منهم دون خط الفقر، برغم غنى إيران وثرواتها وحركة الشباب الواعي والواعد.

وهو يتحرك بوسائله الحديثة والرائعة لإسقاط دكتاتورية ولاية الفقيه وجبروتها وطغيانها في ثورة جديدة لأكثر الشعوب الإيرانية المقهورة في الداخل، فضلًا عن ملايين المهجرين اللاجئين في أصقاع الدنيا بحثًا عن الحرية والكرامة والإنسانية.

إن طغيان ولاية الفقيه وتوسعها في لبنان والعراق واليمن وسوريا والبحرين والخليج العربي وغيرها جعلها تستنفد طاقاتها، وتفقد خيرة أفرادها في مستنقعات واسعة كبيرة أكبر من حجمها، وتصوراتها وتوقعاتها، مما يجعلها ضعيفة تقبل بسقوط خيرة حلفائها مثل نوري المالكي في العراق، الذي قدم لها ما لم تحلم به طيلة تاريخها، ويجعلها أيضًا ضعيفة هاوية في الداخل الإيراني، تتصارع قياداتها على الحكم، وشعوبها تكرهها، والهوة كبيرة حيث تنتظر شعوبها الفرصة للانقضاض على جور ولاية الفقيه واستبدادها وطغيانها.

*****

طغيان ولاية الفقيه خارج الحدود

كانت الثورة الإيرانية منذ بدايتها ترفع شعار تصدير الثورة الإيرانية، وكان خميني نفسه يرفع هذا الشعار لإسقاط الأنظمة العربية، وتأسيس حركات سماها حركات التحرير، وهي تابعة لولاية الفقيه تبعية كاملة. سيأتي فصل كامل عن قاسم سليماني وميليشياته في الخارج.

أخيرا صرّحَ رجل الدين الإيراني مهدي طالب أن سوريا تمثل المحافظة الخامسة والثلاثين الإيرانية، وهي محافظتهم الإستراتيجية، وأهميتها تزيد على محافظة الأحواز وخوزستان. هو تصريح في غاية الأهمية من شخص ذي مسؤولية مهمة إستراتيجية في قوات البسيج الإيرانية ضد ما يسمى بخصوم الجمهورية (الإسلامية)، ومن يحاول إسقاطها من الداخل والخارج مهدي طالب رجل دين من المتشددين، وهو يرأس مقر (عمار الإستراتيجي) لمكافحة الحرب الناعمة ضد الجمهورية (الإسلامية) الإيرانية، والذي تأسس عام ٢٠٠٩ إثر الانتخابات المتهمة من الشعب الإيراني بالتزوير وخروج المظاهرات العارمة ضدها بشعارات (الموت للدكتاتور) بتلميح لولي الفقيه، صاحب الصلاحيات المطلقة، واحتكار السلطات الثلاث بيده، فضلًا عن غيرها من المؤسسات المهمة. إن مركز عمار يضم الرجالات السياسية والدينية

المتشددة، لما يعرف بـ (أنصار حزب الله)، ويقود البسيج من الميليشيات المؤيدة كليًّا لولاية الفقيه ودعمه حتى بالعنف والقتل، لما يسمى أعداء ولاية الفقيه، وهم يرفعون شعارهم الدائم: (الموت لأعداء ولاية الفقيه)، وتطبيقه على من ينبس بكلمة، مطالبًا بحق من حقوقه وكرامته وإنسانيته، وكان للبسيج الدور الأكبر في قمع المظاهرات بوحشية مفرطة، كما كان لهم التاريخ المليء بالظلم والقمع للشعوب الإيرانية.

إن تصريح طالب هو خطير جدًّا، حيث إن سوريا بلد عربي وليس محافظة إيرانية كما يزعم، ثم جعلها المحافظة ٣٥ علمًا أن المحافظات الإيرانية هي ٣١ محافظة، حيث يعني إضافة دول مثل لبنان كمحافظة لإيران بعد سيطرة حزب الله التابع لإيران كليًّا على القرار والحكومة اللبنانية، وفرضه بالقوة والسلاح، وأتباعه ذوي القمصان السود، وإزاحة السنة وغيرهم عن القرار السياسي، ثم العراق الكبير بعد سيطرة الأحزاب الدينية الطائفية التابعة لولاية الفقيه الإيرانية ولإيران ضد مصلحة الشعب العراقي، وكذلك البحرين الدولة العربية المستقلة، حيث لا زال الخطاب الإيراني يعدها تابعة له، ويؤسس الخلايا الفارسية في محاولات لقلب النظام وزرع الفتنة الطائفية.

إن تصريحات طالب ليست هي الوحيدة، بل هي جزء من التصريحات الدائمة والمستمرة من أعلى المستويات كولي الفقيه الخامنئي وأتباعه وخلاياه في إيران وخارجه، مثل البحرين العربية الشقيقة، وتوهم تبعيتها لإيران فضلًا عن احتلالهم للجزر الأماراتية الثلاث: طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو موسى، وهم يرفضون حتى التفاوض على ذلك أو مناقشته في عنجهية وغرور، بعيد كل البعد عن الإسلام وأخلاقه.

ولا زلنا نرى العراق الجريح والمنكوب من أحزاب الإسلام السياسي الطائفية، التي أفقرت الشعب وسرقت مليارات، وقدمته لقمة سائغة لملالي إيران الطغاة.

ولا زلنا نسمع يوميًّا التهديدات الإيرانية، واستعداداتها العسكرية، ومناوراتها المختلفة، وصواريخها العاتية، ومفاعلاتها النووية الكثيرة، وتدخلاتها السافرة في الخليج العربي والدول العربية في طموح وغرور وعنجهية.

كما كشف لنا تقرير من البنتاغون يتكون من أكثر من ٦٤ صفحة عن خلايا إيران السرية المختلفة في أنحاء العالم، وتواطئها مع القاعدة والمؤسسات الإرهابية المختلفة، وشبكة تجسس تزيد على ٣٠ ألف فرد، ومؤامراتها ضد الخليج العربي والشعوب العربية، والتجسس، والتخريب، وسرقة المعلومات، والأعمال القذرة المختلفة. كما ذكر بالتفصيل فيلق القدس الإيراني، ونشاطاته المختلفة، واستعماله العنف، وارتباطه المباشر بشخص خامنئي نفسه، إنه الإسلام السياسي، الذي يستعمل السياسة بأقذر صورها، برغم ادعائه زورًا الإسلام، فيسمي دولته إسلامية، ويتخذ المذهب الشيعي مذهبًا رسميًّا في طائفية بغيضة، فهو لا يسمح لأكثر من مليوني سني في طهران ببناء مسجد واحد لهم، وهو يشتم الخلفاء الراشدين وزوجات النبي أمهات المؤمنين: عائشة وحفصة، ويحتفل بمراسيم كبيرة في موتهم أو قتلهم، حتى إن مراسيم (فرحة الزهراء) في إيران من أعلى المراجع الدينية الرسمية كبيرة ومشهودة، وقد حضرتها وهم يشتمون الخلفاء وزوجات النبي وتمثيلهم والاستهزاء بهم

بأبشع الصور والحالات، متمسكين بحديث ضعيف موجود في كتاب (بحار الأنوار) لفقيه الدولة الصفوية محمد باقر المجلسي، جاء فيه: رفع القلم في ربيع لفرحة الزهراء بقتل عمر بن الخطاب. ويقصد برفع القلم هو رفع الحساب والكتاب والعقاب فرحة بقتل عمر بن الخطاب، وقد جعل الفقيه ثلاث مجلدات في ثقافة اللعن والشتم والسباب في بحاره، بعد أن مارسه مع الشاه الصفوي وسط السوق المركزي لأصفهان في سب وشتم الخلفاء، لا سيما الثاني في محاولاتهم لتحويل إيران السنية إلى شيعية بالقهر والقتل والظلم.

ولا غرابة في ذلك حيث لم يتحمل النظام الفارسي المعاصر ذكر الرئيس المصري للخلفاء الراشدين، حتى حذفه المترجم كليًّا، كما دبلج وحرف كلامه في تحويل ما جاء عن النظام السوري إلى البحرين في محاولة بائسة لتزوير الحقائق وقلبها وغطرستها ضد دولة البحرين العربية الشقيقة.

لكن الشعوب عرفت التحالف الشيطاني، وكشفت المؤامرات الإيرانية ومخططاتها التوسعية، فضلًا عن الشعوب الإيرانية، وهي تحاول الخلاص من استبداد طغاتها، فإيران مهددة من الداخل، وأكثر من ٧٠ بالمئة من الشعوب الإيرانية لا يؤمن بالحاكمين، ويأمل في نسيم الحرية والكرامة، علمًا أن إيران تتكون من قوميات متعددة مضطهدة: كالعرب والأكراد والبلوش والآزريين ... وهي تخرج بالمظاهرات المختلفة تنعت خامنئي بالدكتاتور، وشعارها (الموت للدكتاتور)، وقد انقسمت القيادات في صراعها العنيف حول السلطة، فمن كان من أنصارها بات

منعوتًا من أعداء خامنئي، مثل مير حسين موسوي ومحمد خاتمي وعائلة رفسنجاني ومهدي كروبي وعبدالكريم أردبيلي ويوسف صانعي ومحمد علي كرمي ورضا الصدر وغيرهم كثير، فالنظام بدأ يأكل أبناءه بعد أن شاخ وهرم، واشتدت الصراعات الدنيوية على المناصب والمال والسلطة، وقد باتت العقوبات الاقتصادية مؤثرة بشكل كبير على الوضع الإيراني، وتذمر الشعوب من حكامهم وسياساتهم واستغلالهم الدين سلعة. كما خرج الملايين من الإيرانيين إلى أصقاع العالم لا سيما أوربا وأمريكا بحثًا عن الحرية والكرامة والإنسانية.

وهو منذر بسقوط النظام الاستبدادى الذي سرق البلاد والعباد، ولا يحتمله الغالبية العظمى من الشعوب الإيرانية.

*****

انقضاض خميني على كبار مراجع إيران

يعد السيد محمد كاظم شريعتمداري من المراجع الكبار المعروفين في تاريخ إيران المعاصر، وكان له شعبية وتقليد كبيران في إيران والهند وباكستان والخليج العربي وغيرها. ولد شريعتمداري في مدينة تبريز العام ١٣٢٢هـ، من عائلة تنتسب شجرتها التاريخية إلى الإمام علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، زين العابدين. درس شريعتمداري الدراسات الدينية الحوزوية من المقدمات والسطوح في مدينته تبريز، لينتقل بعدها إلى قم العام ١٣٤٣ فيدرس البحث الخارج على يد المرجع عبدالكريم الحائري اليزدي (ت ١٩٣٧). ثم انتقل شريعتمداري إلى النجف ليحضر أبحاث المراجع: أبي الحسن الأصفهاني (ت ١٩٤٦) وضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١ هـ) ومحمد حسن النائيني (ت١٩٣٦). ومن ثمّ دعي إلى مدينته تبريز فرجع مرجعًا فقيهًا يدرّس البحث الخارج في علمي الفقه والأصول.

ثم دعي إلى قم من المرجعية العليا حسين البروجردي بصفته مستشارًا له، وللتدريس في قم بعد أن ذاع صيته، فاستجاب لذلك عام ١٣٦٩هـ، كعلم بارز من المراجع وتقريراته التي بدأ يدوّنها أبرز تلامذته في الفقه والأصول، وتكون مرجعًا لمريديه الكثيرين. بعد وفاة

البروجردي العام ١٩٦١م برزت مرجعية شريعتمداري وتقليده في ضمن المرجعيات العليا في إيران؛ وبدأ الكثير يحضرون دروسه ومنهم الخميني ورضا زنجاني وموسوي زنجاني ورضا الصدر وجعفر السبحاني وعشرات غيرهم.

كان لشريعتمداري دور سياسي واجتماعي معروف، أسّس «دار التبليغ»، وهي مؤسسة عظيمة كبيرة للتبليغ والإرشاد والتأليف ونشر الفكر، وكان من أبرز وجوهها تلميذه جعفر السبحاني، وبعد الثورة أسس حزب «حزب جمهوري خلق مسلمان إيران». كان الخميني (ت ١٩٨٩) أحد الطلاب لدى البروجردي، ثم عند شريعتمداري بعد وفاة الأول، ولم يكن الخميني مجتهدًا، وبرز في التصدى لشاه إيران محمد رضا بهلوي كالكثير من العلماء والشباب والحركات الإسلامية والشيوعية (خصوصًا حزب تودة) والقومية. وفي أحداث ١٥ خرداد والتظاهرات العارمة كان للخميني وخطاباته دور مهمّ، ممّا أدى إلى اعتقاله وسجنه، وكان في ضمن المشروطة (عدم محاكمة المجتهدين ومراجع التقليد). هنا جاءت مساعدة شريعتمداري ورأيه باعتبار الخميني مجتهدًا، لإنقاذه من الإعدام المحتم وحبل المشنقة، وهكذا استطاع أن ينقذه برغم شكوك الكثيرين من الفقهاء آنذاك بوصول الخميني إلى رتبة الاجتهاد وقدرته على استنباط الأحكام الشرعية من منابعها الفقهية.

فكان القرار سياسيًّا بامتياز لإنقاذه من الإعدام، ولم يكن مبنيًّا على أسس فقهية كما ظهر لاحقًا.

فعلًا تم تحرير الخميني من الإعدام، بينما أعدم الكثيرون. هكذا

خرج الخميني سالمًا إلى تركيا ثم العراق والنجف خصوصًا، لأربعة عشر عامًا، ثم لاحقًا فرنسا لمدة وجيزة ليرجع الخميني إلى طهران ثم يخرج الشاه نفسه، ثم يصير الخميني حاكمًا في إيران وبمبدأ جديد، هو ولاية الفقيه خصوصًا المبدأ ١١٠ في الدستور الإيراني لتشريع ولاية الفقيه وحاكميته وسلطاته المطلقة. كان أكثر الفقهاء ومنهم شريعتمداري معارضين لهذا المبدأ، بسبب ضعف أدلته الفقهية، كما قال مرتضى الأنصاري (دونه خرط القتاد) في مكاسبه.

رفعت إيران شعار «الموت لأعداء ولاية الفقيه»، واتهم المراجع المخالفين بالارتباط بالاستعمار، وباتوا تحت الإقامة الجبرية، وعلى رأسهم شريعتمداري نفسه المتهم ظلمًا في قضية صادق قطب زادة، الذي أعدم باتهام الانقلاب على الثورة مع آخرين، وجاء الحرس الثوري، وألقى القبض على شريعتمداري، وأظهره للإعلام بشكل مهين، ثم أصدرت جامعة مدرسين الحوزة المعينة من السلطة، حكمًا بسحب مرجعية شريعتمداري واتهامه بأنه مخالف لولاية الفقيه.

تمت مصادرة جميع مؤسساته ومنها «دار التبليغ»، وتحويلها إلى «دفتر تبليغات إسلامي» الحكومي، وتم مصادرة أمواله واضطهاد مريديه بين القتل والتشريد والسجون. بقي شريعتمداري تحت الإقامة الجبرية، وهو يعاني من السرطان الكليوي الذي مات بشكل غريب مثير للتساؤل، فقد منع تشييعه كما منع تلميذه البار السيد رضا الصدر (أخو موسى الصدر) من الصلاة عليه خلافًا للشرع ولوصية المرحوم الخاصة؛ وتم اعتقاله وسجنه، وهكذا دفن شريعتمداري سرًّا ليلًا السنة ١٤٠٦

هـ، من قبل الحرس الثورى الإيـراني في مقبرة بعيدة عن مقام معصومة، وفي مكان غير مناسب زيادة في إهانته برغم الملايين المقلدين له، ثم منعوا إقامة الفواتح ومجالس العزاء على موته تمامًا.

في مذكرات حسـين علي منتظـري، نائب ولي الفقيـه والمنظّر لولاية الفقيه سـابقًا ثم المتراجع عنها تماما باعتبارها اسـتبدادًا ودكتاتورية؛ ذكر أن التهم المنسوبة لقضية قطب زادة وشريعتمداري كلها غير سليمة وغير صادقة؛ وتم تلفيقها لأغراض سياسية وقام منتظري بزيارة شريعتمداري في إقامته الجبرية متحديًا سـلطة ولاية الفقيه، ولكن منتظري بات لاحقًا هـو أيضًا تحـت الإقامة الجبرية، وتـم إعدام مهدي هاشـمي القريب منه ومسؤول مكتبه في حركات التحرر حتى مات بطريقة غريبة مهينة، برغم كونه من أهم رجالات صنع الثورة.

كان الكثـير مـن الفقهـاء المخالفين لمبـدأ ولاية الفقيه تحـت الإقامة الجبريـة، مثـل شريعتمـداري وقمـي وروحـاني وشـيرازي ومامقـاني ومنتظـري والكرمـي والخاقاني، حتى مـات الكثير منهـم بطرق غامضة غريبة، يعتقد الكثيرون بالسم وأمثاله.

هكـذا كان اسـتبداد ولاية الفقيـه وجزاء الخميني لفقيـه كبير أعلم منه بكثـير، وهوالذي أنقذه من الإعدام، علمًا أن الله تعالى يقول: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وهي قضية أخلاقية لمن كان يمتلك الأخلاق والقيم.

*****

الدور الإيراني في فتنة البحرين

تدخل الولي الفقيه الإيراني علي خامنئي مرارًا في فتنة البحرين، داعمًا ما سماه المعارضة، وهو يأمرها وينهاها. وهذا تدخل سافر في شؤون الدول العربية وأمنها واستقرارها، وهو ينتقد مرارًا دول التعاون الخليجي بشكل لا ينمّ عن الأخلاق الإسلامية واحترام دول الجوار. كتب حسين شريعتمداري وهو مستشار خامنئي في مقاله بصحيفة «كيهان» الرسمية، معتبرًا البحرين تابعة لإيران وانفصالها غير شرعي، كما هاجم مجلس التعاون الخليجي بأسلوب استعلائي.

وتجد تصريحات متعددة بين مدة وأخرى، تكشف بشكل سافر عن نظرة سيئة، فقد هاجم منوشهر محمدي مساعد وزير الخارجية الإيراني أنظمة الخليج العربي، مهددًا بسقوطها في كلمته بمدينة مشهد الإيرانية، وهو جزء من حملة كبيرة تدخل في توسع الإمبراطورية الفارسية على حساب العرب، وكذلك تهديدها بإغلاق مضيق هرمز، حيث أهميته، فهو يمثل ثلثي الاحتياطي النفطي العالمي.

الأطماع الإيرانية قديمة في إمبراطوريتها الفارسية، واستطاعت إيران منذ الثمانينات تأسيس أحزاب تابعة لها، لإسقاط الأنظمة العربية المختلفة. في البحرين أسست إيران مثلًا «الجبهة الإسلامية لتحرير

البحريـن»، التـي اكتشـف جناحهـا العسـكري في ينايـر (كانـون الثاني) ١٩٨١، وتخطيـط لقلـب نظـام الحكـم البحريني، كذلك في عـام ١٩٨٣ اكتشفت الأسلحة والمتفجرات في الدراز، واعتقل أشخاص حكم عليهم بالسجن، أيضًا خلية «حزب الله»، واعتقل قياداتها وغيرها كثير جدًّا.

اسـتنفرت حاليًـا خلايا عديدة في مختلف الـدول لامتثال أوامر ولي الفقيـه الإيـراني بمحاولـة إيجاد فتنـة في البحريـن، وتحرك فيلـق القدس الإيراني مـن خلايا فروعه المختلفة، لتحريك أتباعه في البحرين والعراق ولبنان والكويت وأوروبا وأميركا.

أكبر خلية هي في البحرين نفسها يرأسها ممثل خامنئي الشيخ عيسى قاسم (المرشد) إمام جامع الإمام الصادق، الذي يأخذ أوامره من خامنئي مبـاشرة، ويقـود جملة من رجال الديـن وأتباعهم، وقـد درس في قم منذ التسعينيات على يدي محمود الهاشمي الشاهرودي رئيس القضاء الإيراني السـابق وكاظم الحائري، المعروفين بارتباطهما بولي الفقيه. كما كان قاسم من مؤسسي «جمعية التوعية الإسلامية» المرتبطة بولاية الفقيه، وقد دعت الجمعية الكثير من ممثلي الـولي الفقيه ووكلائه إلى البحرين، لتغذية الفكر المتشدد التابع لإيران، مثل محمد علي التسخيري ومصباح يزدي والطبسي ومحسـن الأراكي ومحمد مهدي الآصفي ومحمد سـعيد النعماني، وكذلك مـن ادعـى تحوله من التسـنن إلى التشـيع: كالدمرداش العقـالي وغيره في خطة طائفية، لتحويل السنة إلى تشيع فارسي تابع لإيران.

تحت مظلة قاسـم ممثل الولي الفقيه، يخضـع الكثير من رجال الدين الفاعلـين، مثـل علي سـلمان الذي رضع في قـم منـذ ١٩٨٧، وتربى على

ولايـة الفقيه، وعاش في لندن منذ عام ١٩٩٥ حتى ٢٠٠١، بوصفه نائبًا عـن ممثل الـولي الفقيه بلندن محسـن الأراكي، ثم رئيسًـا لجمعيـة الوفاق الوطني الإسـلامي: كأكبر كتلة فازت في الانتخابات البرلمانية وامتيازاتها الكبيرة مع علاقاته الحميمة، مع القوى المتشـددة المطالبة بإسـقاط النظام بالقوة والعنف، وإلحاقها بإيران.

خلايـا الـولي الفقيه في لبنـان تمثلـت بدعم كبير واضـح من حزب الله وزعيمـه شـخصيًّا نصر الله بمختلف أنواع الدعـم، كذلك في العراق الجريـح كانت الأحزاب الطائفية الموالية لإيـران تدعم الفتنة في البحرين بشـكل كبير، بل كانت الفتـاوى الدينية تحرض المظاهـرات في البحرين، بينـما تحرم نفسـها المظاهـرات في العراق، كـما تحرم المظاهرات في سـوريا وإيران، وهي من مفارقاتهم وتناقضاتهم.

لنـدن احتضنـت مؤتمـرات ونـدوات وخلايا كثـيرة تابعـة لولاية الفقيه، لدعم الفتنة في البحرين، ومنها المركز الإسـلامي الإيراني، وممثل الولي الفقيه، ومؤسسات المرجعيات الفارسية.

صـوت شـعب البحريـن بأغلبية سـاحقة تقـرب مـن الإجماع على الميثاق الوطني عام ٢٠٠١ في دعم الأمير واحترام النظام وسيادة القانون وترك أعمال العنف وبيعة مطلقة للحاكم الأمير، حيث وافقت عليه حتى من يسمى بالمعارضة اليوم ورموزهم، ثم التصويت عليه بشكل جماعي، يمثـل إجماعًـا للشـعب عـلى الأمـير وصلاحياته، منسـجما مع الدسـتور وقوانينه. فما عدا ما بدا بسبب إيران وغدرها المعروف وأطماعها التوسعية وأتباعها.

تمّ العفوالأميري عام ٢٠٠١ عمَّا يسمى «المعارضة»، التي عاشت في الخارج وعندها حصلت على ميزات كبيرة لم تحلم بها: كعلي سلمان رئيس الوفاق في البرلمان، ومجيد العلوي وزيرًا للعمل، ومنصور الجمري نجل الشيخ عبدالأمير الجمري (رمز المعارضة وصاحب الاعترافات والاعتذارات المعروفة) رئيسًا لتحرير جريدة «الوسط»، ومناصب كثيرة للشيعة... لكن البعض لم يحصل على ما يطمح إليه من مناصب، وهو طامع بالكثير، خصوصًا أساس الفتنة والبلاء المتشددين جدًّا لولاية الفقيه والقائلين: «لا يصلح البحرين إلا قيادة الولي الفقيه والإطاحة بالحكم»، وهم يدعون إلى إلغاء الوطن كاملًا والالتحاق بإيران، يضعون قدمًا متشددة في المعارضة وقدمًا طلبًا في منصب في الحكومة، فقد سارعوا مرارًا وتكرارًا للقاء الأمير، بمجرد تلويحه في زيارته للندن، قدموا زحفًا دون مشورة أحد من رفاقهم وزملائهم، معلنين السمع والطاعة والولاء المطلق لحكومته، وما أكثر ما تمّت زياراتهم للأمير، وهذا يكشف ازدواجيتهم وتناقضاتهم ومصالحهم الشخصية وخداعهم للشعب بعناوين أبعد ما تكون في فكرهم أو حركتهم.

أثبتت المظاهرات بما لا يقبل مجالًا للشك ولاءها لإيران، ورفع صور الولي الفقيه وحسن نصر الله واستعمال العنف خصوصًا المولوتوف الحارق وحرق المؤسسات، وشعارات طائفية، يملأها الحقد والبغضاء والتفرقة والكراهية والانتقام وغيرها، مما يجعلها طائفية مؤيدة لإيران بامتياز، بعيدًا عن الوطنية والوطن والقيم والأخلاق.

إيران تستغل الدين والمذهبية أسوأ استغلال، لتعطي صورة مشوهة جدًّا عن الدين والمذهب، فيها ثقافة التكفير والسباب واللعن والتفريق والولاء للفرس، علمًا أن الدين والمذهب منها براء، فلا الدين السمح، ولا أخلاقه السامية، ولا تشيع آل البيت يقبل بالعدوان والظلم والقهر والتفرقة.

إن المعايير المزدوجة لخلايا خامنئي في المنطقة، وهي تقف مع نظام الأسد ضد شعبه، وتدعم قمع الشعوب الإيرانية، وتؤيد المالكي في حركته الطائفية في اجتثاث السنة، وتحريم المظاهرات ضده، بينما تدعو إلى قلب النظام في البحرين واليمن، وهي ما زالت تحتلّ الجزر العربية الإماراتية الثلاث.. لهي معايير مزدوجة كشفت المستور، وعرفت الشعوب ما لا يقبله العقل السليم، ولا الدين الحنيف، ولا الحق والإخوة والإنصاف.

إن أمن الخليج العربي مهدد من إيران وأتباعها، والبحرين واليمن مثالان صارخان، ويوميًّا نسمع التهديدات الإيرانية وصواريخها الجديدة ومناوراتها في الخليج وتهديدها بإغلاق مضيق هرمز وغيرها. بات أمن الخليج أولوية قصوى وضرورة لأمن العرب أمام التمدد الإيراني ومطامعه التوسعية، وهنالك عشرات المؤامرات الفارسية ضد الأمة العربية والخليج العربي بالذات، ويكفي ما ترونه في العراق الجريح اليوم وفتنة البحرين وأزمة اليمن ومحنة لبنان مما يستوجب موقفًا عروبيًّا إسلاميًّا شجاعًا، يتصدى للفتن قبل استحكامها، ويكون فاعلًا مؤثرًا مبادرًا وفق رؤية ومنهجية وإستراتيجية متكاملة، فماذا أنتم فاعلون؟

*****

نمر النمر[1] وتبعيته لولاية الفقيه

ظاهـرة التكفير والتطـرف هي من أخطر الظواهـر التي تهدد الأمة العربية والإسلامية، وتفرقها وتمزقها، وكذلك تؤدي إلى القتل والجريمة والفتن المختلفة.

تعـد الخوارج مـن أولي الفـرق المتطرفة التـي قامت بتكفـير خليفة المسـلمين، وتكفـير كل من لا يكفـره؛ حتى صاروا قطـاع طريق، نصبوا خيمـة خـارج المدينة المنورة، يسـألون كل عابر عن تكفـير علي ومعاوية؛ فإن أبى فسـوف يقتل، كما قتلوا الصحابي عبدالله بن خباب، وبقروا بطن زوجتـه وهـي حامل مقـرب، لأنهما لم يقبـلا بالتكفـير. كان الخوارج من جيـش الإمام علي نفسـه، وكانوا حفاظًا للقرآن الكريم وجباههم سـود، وعرفـوا بكثرة الصـلاة والصيام والعبـادة والتهجد، حتـى وصفهم ابن عبـاس: «رأيـت جباهًا ذات ثفنـات من كثرة السـجود، وأيادي كثفنات الإبـل، وعليهم لباس بال زهيد، وهم مشـمرون في السـجود والخضوع

(١) بحمد الله تعالى، في أثناء إعداد هذا الكتاب للطبع والنشر، أقر الله أعيننا، وأثلج صدورنا، بهلاك هذا الطاغية، فقد تم إعدامه لكفره وضلاله، وقد وفق الله حكومة خادم الحرمين الشريفين: الملك سلمان بن عبدالعزيز وفقه الله وسدد خطاه، إلى إطفاء هذه الفتنة التي عمت وصمت، وكاد أن يستفحل شرها، ويزداد شررها وخطرها، سائلين الله تعالى أن يوفق المملكة حكومة وشعبًا للقضاء على الرافضة المارقين أحفاد المجوس الغادرين، اللهم آمين.

والبكاء والتسليم»، لكنهم كانوا متحجري الفكر، وضيقي الأفق، ومتشددي الرؤية، ومتطرفي الموقف، ومستبيحي الدماء.

حاول الإمام محاورتهم، وبعث عددًا من الصحابة لحوارهم، لكنهم رفضوا وصمموا على الحرب والقتال، وعندها سماهم شر الناس جميعًا؛ لأنهم يستغلون الدين بأبشع وسيلة متطرفة تكفيرية، لا يقبلها عقل سليم ولا دين كريم، وعندها كانت حرب النهروان، وسقط فيها كثير من المسلمين. اعتبرها الإمام فتنة كبرى يجب القضاء عليها، ومنعها من الانتشار، وهو يفتخر قائلا: «فقأت عين الفتنة ورأسها، وما كان ليجرؤ أحد عليها غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها». وقد ترصد الخوارج له ولغيره، ثم أمروا بقتل ثلاثة: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص ﷺ في يوم واحد وساعة واحدة بثلاثة أشخاص.. وفعلًا، أحد الخوارج هو عبدالرحمن بن ملجم ضرب عليًّا في محراب الكوفة ليلة القدر؛ تقربًا إلى الله تعالى. وله في قتل الخليفة افتخار:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

وما أشبه اليوم بالبارحة، وأشبه نمر النمر بالخوارج، فهو من أشد المتطرفين التكفيريين في اتهام الخلفاء الراشدين الثلاثة والمسلمين بأشد التهم فظاعة، وهو ينهج نهج غلاة الشيعة في المرحلة الصفوية، ومنهجه أيضًا في تقديس ولاية الفقيه وإيران وطموحها في فتنة البحرين لقلب النظام، وتأييد نظام الرئيس بشار الأسد في قمعه لشعبه الشجاع بالدبابات والطائرات ومختلف الأسلحة، في ثورة، لأكثر من ستة عشر شهرًا مستمرة مليئة بالدماء والضحايا والمعوقين والمشردين، فضلًا عن

دعـم النظـام الحاكم في ايـران وقمعه لشـعبه، خصوصًا الشـعب العربي الأهوازي وكفاحه الدائم من أجل الحرية والكرامة.

إن تأييـد النمـر للـولي الفقيـه وبرامجـه بوصفـه مصلحًـا، واعتباره إصلاحيًّا أكثر من الإصلاحيين، وقوله: «إن الشـعب الإيراني كله معه»، لهـي ادعاءات واهيـة باطلة، وهي أوهـن من بيت العنكبـوت، حيث لا يؤمن بها حتى الإيرانيون أنفسـهم، وهم يرددون بالملايين شـعارًا ضده: «المـوت للديكتاتـور» باعتبـاره يملـك السـلطات الثـلاث، وغيرها من السـلطات. بل تحول بعض رجالات النظام إلى مناوئين. إن أكثر الفقهاء لا يؤمـن حاليًا بولاية الفقيـه بعد التجربة المريرة، التي أثبتت الاسـتبداد والديكتاتوريـة، وفي زيـارات المرشـد لقم ومشـهد يرفض أكثـر الفقهاء لقاءه، ولولا تزوير الانتخابات ووسائل القمع المختلفة والحرس الثوري والباسيج وامتلاء السجون والمقابر الجماعية بالمعارضين وهجرة الملايين، لسقط نظام الملالي منذ زمن طويل.

إن شـدة التطـرف والتكفـير من قبـل رجـل الدين المتشـدد النمر، جعلته منبوذًا من طبقات الشـعب السعودي سنّة وشيعة، حيث لا تؤمن الاكثرية بالتكفير والغلو والتطرف، أيًّا كان مذهبه.

خطـب النمـر النارية وهـو يتكلم عـن الأموات، فيدخـل بعضهم النار كيف يشاء، وكأن مفاتيحها بيده، يدخل من يشاء، ويخرج من يشاء، بأسلوب ينفر منه الطبع، ولا يقبله الدين الحنيف وأخلاقه السمحة.

إن النمر فتنة ضالة مضلة من مضلات الفتن التي تفرق الأمة، ويجب قطعها قبل استفحالها وعموم جوانبها وكبر بليتها، فهي فتنة عمياء ظالمة مظلمة، كما عبر الإمام في نهج البلاغة عن بعض الفتن.

إن النظام الإيراني له تاريخ حافل بالجرائم منذ بدايته، فقد أرسل النظام عام ١٩٨٦ خمسين كيلوغرامًا من مادة سيمنكس الإنفجارية في حقائب خمسين حاجًّا أصفهانيًّا، حيث اكتشفت السلطات السعودية في مطار جدة ذلك ضمن حملة الحج الأصفهاني القادمة من إيران، وبرغم ذلك لم تمنعهم من الحج، وسمحت لهم بأداء المنسك، وذلك قمة الخلق الرفيع، حيث تبين أنهم من الفلاحين والكسبة والعمال والنساء، الذين لاعلاقة لهم بها، ولا يعرفون عنها، بل أرسلها المسؤولون الإيرانيون غدرًا في مشروعهم الفارسي التوسعي.

إن قادة التشيع الصفوي معادون للعرب والعروبة والإسلام ورموزه، ولهذا نراهم يهاجمون باستمرار كل من ارتبط بالفتوحات العربية، وساهم في بناء الإمبراطورية العربية، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة. ويتجاهلون بذلك كل ما ذكره الإمام علي بن أبي طالب عن الصحابة الأجلاء في خطب كثيرة، من أهمها قوله: «لقد رأيت أصحاب محمد فلم أر أحدًا يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سُجّدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم. إذا ذكر الله هملت عيونهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب ورجاء في

الثواب» (نهج البلاغة – الخطبة ٩٧). تحدث الإمام بصراحة ووضوح عن الخلافة الشرعية إلى الخلفاء الثلاثة السابقين له، معتبرًا امتلاكها الملاك الشرعي من خلال الشورى القرآنية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قائلا: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله» (نهج البلاغة– الكتاب السادس).

وكان الخلفاء الراشدون الثلاثة يرجعون إليه في كثير من المسائل، حتى قال الخليفة الثاني: «لولا علي لهلك عمر». وكان الإمام علي المستشار في مئات المسائل، حتى إن الخليفة الزاهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استشاره في غزو الروم والفرس، فأشار عليٌّ أن يبقي كهفًا للمسلمين، ولا يذهب بنفسه خوفًا من شهادته وفقدان قيادته الملجأ للأمة وضياعها بعده. «إن تكن الأخرى كنت ردءًا للناس ومثابة للمسلمين» (نهج البلاغة – الخطبة ١٣٤). وقال له أيضًا: «العرب اليوم وإن كانوا قليلًا فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع؛ فكن قطبًا واستدر الرحا بالعرب.. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا يقولون: هذا أصل العرب. فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك» (نهج البلاغة – الخطبة ١٤٦).

اليوم تغيرت المعادلات، وبات سقوط النظام السوري وشيكًا بعد كل هذه الجرائم، وأول متأثر بذلك هو النظام الحاكم الإيراني المدافع عنه، كما فشلت إيران في تغيير الأنظمة بالبحرين واليمن، وظهور

عداوتها للمحيط العربي واحتلالها للجزر الإماراتية العربية الثلاث، وتأثير العقوبات الاقتصادية الكبير، وعدم قدرتها على تسويق النفط، والغلوالفاحش مع فقر الشعب الكبير، ونموالحركات الاحتجاجية في شعب طامح للحرية والكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان، والنظام مهدد من الداخل وشعوبه المظلومة، خصوصًا القوميات المضطهدة، ومنها عرب الأهواز، وهي قنابل موقوتة تنتظر سقوط النظام السوري، ومشكلات إيران النووية، وتحديها للمجتمع الدولي وصواريخها الاستفزازية وادعاؤها إغلاق مضيق هرمز، كلها تنبئ عن الغباء السياسي وتغير معادلة المنطقة واللعب بالنار مع الكبار، وليس مصيرهم ببعيد عن مصير زميلهم القذافي الذي دعمهم بالصواريخ إبان حرب السنوات الثماني ضد العراق، وما أشبه عنجهيتهم بعنجهيته وغرورهم بغروره وتهريجاتهم بتهريجاته.. فهل تكون نهايتهم كنهايته أو أسوأ، هذا ما سيكشفه المستقبل القريب.

*****

حزب الله أم حزب الشيطان

الأحزاب الدينية السياسية تحاول إعطاء نفسها شرعية من خلال عناوين وشعارات دينية، تضفي عليها قدسية تربطها بالسماء، وتزيد من رصيدها وجمهورها، لكن تطور الحياة وازدياد الوعي والعولمة جعلت كثيرًا منها يغير شعاراته إلى عناوين مدنية حديثة، كالحرية والعدالة والديمقراطية والقانون والمواطنة، هكذا حصل في تركيا ومصر والمغرب وتونس.

من المبالغة لأي حزب سياسي مهما كان، أن ينسب نفسه إلى الله (تبارك وتعالى)، لأن الله مطلق الحق، بينما المواقف السياسية للأحزاب تتغير وفق المصالح والظروف والتغيرات، حتى إن قيادات الحزب يتم نقدها مرارًا على مواقفها وآرائها وسياساتها.

تسمية حزب معين بحزب الله، تفترض أن ما يقابله من الأحزاب أحزاب الشيطان، وهو أمر خطير جدًّا في احتكار الحق والحقيقة، وهو تصفية غير نزيهة للمنافسين السياسيين.

سئل بعض قادة الحزب عام ١٩٨٩، عن شرعية حزب الله. فأجاب مفتخرًا بقراءة الآية القرآنية: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وكأن الآية النازلة قبل أكثر من ألف سنة قد نزلت في حقهم.

لعله نسي أن الآية لم تتكلم آنذاك عن مصطلح الحزب الحالي، وأن لفظ الحزب قد تطور استعماله كثيرًا خلال أكثر من ألف سنة، كما أن للآية الشريفة ظروفًا معينة ومناسبة لنزولها وقصة واقعة (أسباب نزول الآية). كما أن هنالك آيات كثيرة في مقابلها، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، فإذا أريدت نظرة متكاملة للموضوع، فينبغي عندئذ النظر في جميع الآيات التي تناولت الموضوع من جوانبه المختلفة، لأخذ صورة كاملة واضحة لجميع جوانبه، لا انتقاء آية معينة مجتزأة عن ظروفها وزمانها وشروطها.

برغم وجود حركة أمل الشيعية في لبنان، فإن إيران أرادت تأسيس حزب تابع لها كليًّا، وعندها قامت إيران بإخراج بعض القيادات من حركة أمل والتيارات الأخرى وتأسيس حزب الله من خلال قيادات ثورية إيرانية تابعة كليًّا إلى ولاية الفقيه آنذاك، مثل علي أكبر محتشمي بور، السفير الإيراني في دمشق في الثمانينيات، أيام شعارات الثورة الإيرانية الكبيرة وتصديرها، أيام الزهو الثوري العاطفي، ثم تحولوا - بمرور الزمان، وتغير الأحوال، وخمول الشعور الثوري الحماسي العاطفي، ونهاية الحرب مع العراق - إلى مخالفين لولاية الفقيه، فقد أصدر الفقيه حسين علي منتظري نقدًا لاذعًا لولاية الفقيه، نظريًّا وعمليًّا، مما تسبب في إجباره يعيش في الإقامة الجبرية، وحتى وفاته. وأما محتشمي، فقد تحول إلى تيار الإصلاح المعارض لولاية خامنئي، وأغلقت جريدته «سلام»، واتُّهم باتهامات كثيرة. في المقابل، تحول الأمين العام الأول لحزب الله، صبحي الطفيلي، إلى أحد أكبر معارضي الحزب، وتم طرده من الحزب في ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٨، بسبب نقده لإيران وللحزب.

اشتعلت الحرب الأهلية اللبنانية، وكان حزب الله يأخذ الفتاوى لقتل خصومه، حتى الشيعة من حركة أمل نفسها، وبدأ الأخ يقتل أخاه في البيت الشيعي الواحد. وعندها قدم الشيعة بينهم عددًا كبيرًا من القتلى يفوق كثيرًا ما قدموه بمجموعهم في مواجهة إسرائيل.. أراد حزب الله أن يحتكر القرار الشيعي، ويفرض إرادته على كل خصومه، كما نجده حاليًّا في ظاهرة نزول أصحاب القمصان السود في الشوارع والساحات والميادين، لإرعاب الخصوم، وفرض إرادة وحيدة على الساحة، كما أسقطت حكومة الحريري، وجاءت بميقاتي لفرض حكم الأقلية، بعد أن كانت الأقلية تمثل الثلث المعطل.

مارس حزب الله اللبناني الكثير من الممارسات الغريبة لصالح النظام الإيراني، وهو يعلن ولاءه ودعمه الكامل لنظام ولاية الفقيه، وكذلك دفاع الحزب عن بشار والنظام السوري بعد كل مجازره ضد الشعب السوري الأعزل.

اتُّهم حزب الله أيام الحرب الأهلية وأيام سطوة السوريين على لبنان بالكثير من الاتهامات، ومنها أربعة أشخاص متهمون من المحكمة الدولية في جريمة اغتيال رئيس الوزراء الأسبق، رفيق الحريري، بعد تهديده من النظام السوري، وما زال الحزب يرفض تسليم أعضائه المتهمين إلى المحكمة الدولية.

المرجع الشيعي، محمد حسين فضل الله، بعد أن كان مرشدًا للحزب، صار تقليده محرمًا لرفضه وصاية الإيرانيين، ورفض ولاية

الفقيه الإيرانية، واتهامه إيران بالعنصرية ضد العرب في التشيع الفارسي، وقال: «رفضوا مرجعيتي لعروبتي».

كما صرح الشيخ صبحي الطفيلي، بعد خروجه من الحزب، بأن قرارات الحزب الأساسية تنشأ من طهران والولي الفقيه، والكثير من خفايا القرار في الحزب بعيدة عن المصلحة الوطنية والعربية.

يفخر حسن نصر الله بالولاء والتبعية الكاملة لإيران بشكل سافر، وهو ينتقد برهان الدين غليون، لأن اسمه فيه لفظ الدين، ونسي أن اختيار الاسم ليس من الشخص بل من والديه، والحال أن اسمه نصر الله، كما نسي أو تناسى أن حزبه قد نسب اسمه إلى الله تعالى، فاختار اسم (حزب الله) لنفسه باختياره. فإذا لم يحقّ لغليون أن يُسمى برهان الدين لأن فيه لفظ الدين، وهو لم يختره؛ فكيف يحق لحزب الله أن يختار ويحتكر اسم الله له؟! وهل فوضه الله بذلك؟ ومن نصّبه قيّمًا على الناس؟ وكم عملًا سياسيًّا كان برضا الله أم برضا إيران؟ وهل كل عمل إيراني يرضاه الله تعالى، وهي تقمع شعبها في ظل نظام ولاية الفقيه وقمعه للحريات والكرامة وحقوق الإنسان، والكل يعرف مصير من يخالف ولاية الفقيه المحتكرة للسلطات الثلاث، ولو كان من أرقى الفقهاء، كما حصل للمراجع شريعتمداري وقمي وشيرازي وروحاني، والمراجع العرب كالكرمي والخاقاني وغيرهم؟

والملاحظ هو المعايير المزدوجة الكثيرة لحزب الله؛ فبينما يرفع شعارات عاطفية كثيرة تنادي بتحرر الشعوب وخلاصها من الظلم والاستبداد، إذا هو ينتقد ثورات الربيع العربي، ويدافع عن

النظامين السوري والإيراني في كل مجازرهما ضد شعبيهما الطامحين في الحرية والكرامة.

ها هو النظام السوري يقمع بشكل كبير الشعب السوري المظلوم، وقتل عدة آلاف من الشعب، وعددًا كبيرًا من الأطفال والنساء والشيوخ في مجازر رهيبة في حمص وحماه وحلب وإدلب والزبداني وغيرها، حسب التقارير العالمية من المنظمات الحقوقية. فهل يحق لحزب (أيا كان) أن يقف مع بشار الأسد، ويدعمه بمختلف أنواع الدعم، ويبقى يسمي نفسه «حزب الله»، حتى تحولت الكثير من الشعوب التي تعاطفت في أوقات معينة مع الحزب إلى رفضه وإدانته حاليًّا، ومعرفة حقيقته الطائفية وتبعيته لإيران ومصالحها المعارضة للعرب واستقلالهم وحريتهم. علمًا بأن النظام الحاكم في سوريا ليس نظامًا إسلاميًّا، بل حزب البعث، وهم أنفسهم قد حاربوا حزب البعث في العراق، لكنهم مع حزب البعث في سوريا بسبب المصالح السياسية والعلاقات الطائفية والتحالفات الإيرانية.

أما آن الأوان لإعادة النظر في تسمية حزب باسم «حزب الله»، واستغلال لفظ الجلالة المقدس في مآرب سياسية، وبمراجعة بسيطة من خلال الوقائع والحقائق الكثيرة للحزب على الأرض، وقد بدأت أحزاب دينية في دول عربية بمراجعة شعاراتهم وأسماء أحزابهم إلى عناوين مدنية حديثة، ولأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ

أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١].

ولا يمكن لأي حزب سياسي أن يحتكر الله تعالى له وحده ويحجبه عن العالمين، فالله العظيم أكبر من أي حزب سياسي، مهما كان، وهو للعالمين جميعًا، كما أنه رحمة، كما لخص الحق تعالى رسالته في أجمل آية قرآنية شريفة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] صدق الله العظيم.

*****